مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠٠٥/٢٩

الأحد ١٧ تموز

أحد آباء المجمع المسكوني الرابع

تذكار القديسة المعظمة في الشهيدات مارينة

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الرابع

الرسالة

(تيموثاوس ٣:٨–١٥)

يا ولدي تيطسُ صادقةٌ هي الكلمةُ وإيَّاها أريدُ أن تقرِّرَ حتى يهتمَّ الذين آمنوا باللهِ في القيامِ بالأعمالِ الحسنةِ. فهذه هي الأعمالُ الحسنةُ والنافعةِ* أمَّا المباحثات الهذيانيَّةُ والأنسابُ والخصوماتُ والمماحكاتُ الناموسيَّةَ فاجتنبها. فإنَّها غيرُ نافعةٍ وباطلةٌ* ورجلُ البِدعةِ بعدَ الإنذارِ مرَّةً وأُخرى أعرِض عنهُ* عالِماً أنَّ مَن هو كذلكَ قدِ اعتسفَ وهو في الخطيئةِ يقضي بنفسهِ على نفسهِ* ومتى أرسلتُ إليكَ أرتماسَ أو تيخيكوسَ فبادِرْ أن تأتيَني إلى نيكوبولِسَ لأني قد عزمتُ أن أُشتِّيَ هناك* أمَّا زيناسُ معلِّمُ الناموس وأبلُّوسُ فاجتهد في تشييعِهما متأهِّبين لئلَّا يعوزَهما شيءٌ* وليتعلَّم ذوونا أن يقوموا بالأعمالِ الصالحةِ للحاجاتِ الضروريَّةِ حتى لا

أهمية خلقيدونية اليوم

في العام ٤٥١ اجتمع آباء المجمع المسكوني الرابع الذين نعيّد لهم اليوم في مدينة خلقيدونية قرب القسطنطينية، مطلقين صيغةً لاهوتيةً بالغة الأهميّة بالنسبة إلى لاهوت الكنيسة الشرقية وحياتها.

لقد واجه آباء المجمع المسكوني الرابع تعليماً خاطئاً يختص بشخص يسوع المسيح كان يقضّ مضجع الكنيسة منذ عقود عدّة، فقالوا أنّ ثمّة طبيعتين كاملتين، إلهيّة وإنسانيّة، قائمتين في شخص يسوع المسيح الواحد، وأنّ هاتين الطبيعتين متّحدتان في يسوع بلا انفصال ولا انقسام ولا اختلاط ولا تغيّر.

من الواضح أنّ الإحاطة الكاملة بالصيغة اللاهوتيّة التي أُقرّت في مجمع خلقيدونية تفترض الإلمام بالمعضلة اللاهوتيّة التي تحاول الصيغة أن تجد جواباً عنها، أي عدد الطبائع في شخص يسوع وعلاقتها بعضها ببعض. فضلاً عن الاطّلاع على الخلفيّة الثقافيّة الفلسفيّة التي نشأت هذه الصيغة في قالبها. بيد أنّ صيغة خلقيدونية، رغم ما قد يواجه الإنسان المعاصر من صعوبات في فهمها، تروم توضيح حقيقة تعبّر عنها كتب العهد الجديد عامّة، والأناجيل على وجه الخصوص، على كلّ صفحة من صفحاتها. فهذه الصيغة تفصح بكلمات ذات طابع فلسفي عن أنّ يسوع المسيح إله حقيقيّ وإنسان حقيقيّ وأنّ الألوهة فيه لا تبتلع الإنسانيّة ولا تشوّه حقيقتها، كما أنّ الإنسانيّة فيه لا تقلل من شأن الألوهة ولا تشوّه حقيقتها.

يسوع إله حقيقيّ وإنسان حقيقيّ. هذا ما رمى إليه الإنجيليّ يوحنا، مثلاً، عندما كتب في آيته الأولى «في البدءِ كانَ الكلمةُ والكلمةُ كانَ عندَ اللهِ وكانَ الكلمةُ اللهَ» (يو ١:١) منتقلاً بعد ذلك إلى قوله: «والكلمةُ صارَ جسداً وحلَّ بيننا» (يو١٤:١). وهذا ما يوضحه الإنجيل الرابع مشيراً إلى أنّ يسوع حزن على صديقه لعازر وبكى لموته، كما يليق بإنسان يحمل في ذاته كلّ الخواص الإنسانيّة، ثمّ أمره أن يخرج من القبر مظهراً أنّ كيانه يضمّ كلّ طاقة الألوهة. هذا التبادل بين الإلهيّ والبشريّ في يسوع بلغ ذروته لحظة الصليب والقيامة.فيسوع في موته على الصليب أظهر معنى أن يكون إنساناً في كلّ ما للكلمة من معنى،

يكونوا غيرَ مثمرين* يسلمُ عليكِ جميعُ الذينَ معي* سلمْ على الذين يُحبُّوننا في الإيمان. النعمةُ معكم أجمعين. آمين

الإنجيل

(متى ٥:١٤–١٩)

قال الربُّ لتلاميذهِ أنتم نورُ العالم. لا يمكنُ أن تخفى مدينةٌ واقعةٌ على جبل* ولا يُوقَدُ سِراجٌ ويُوضَعُ تحتَ المكيالِ لكنْ على المنارة ليُضيءَ لجميع الذين في البيت* هكذا فليُضئ نورُكم قدَّامَ الناس ليرَوا أعمالَكم الصالحة ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات. لا تظُنُّوا أنّي أتيتُ لأحُلَّ الناموسَ والأنبياءَ، إنّي لم آتِ لأحُلَّ لكن لأُتمِّم* الحقَّ أقولُ لكم إنهُ إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نقطةٌ واحدةٌ من الناموس حتى يتمَّ الكلُّ* فكلُّ مَن يحُلُّ واحدة من هذهِ الوصايا الصغار ويُعَلِّمُ الناسَ هكذا،فإنهُ يُدعى صغيراً في ملكوتِ السموات. وأمّا الذي يعمَلُ ويُعلِّمُ فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات.

تأمل

ينبغي أن نتفهَّم معاني الكتب الإلهيَّة الطاهرة

إنساناً يتألّم لمصيره المحتوم ويجاهد في سبيل أن يتغلّب على خوفه الطبيعيّ من الموت على جبل الزيتون «كانت نفسه حزينة جداً حتى الموت... وكان يصلّي قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت» (أنظر متى٢٦:٣٦–٤٥) ويحسّ على الصليب بأنّه متروك ووحيد: «إلهي، إلهي لماذا تركتني» (مر ١٥: ٣٤). كلّ هذا كان ممكناً لأنّ الألوهة الساكنة في شخص يسوع لا تطغى على العنصر الإنساني، بل تتيح له أن يعبّر كلياً عمّا يعتمل فيه من أحاسيس إنسانيّة حقيقيّة. لكن، وبالقوّة ذاتها، هذه الألوهة تدفع بكيان يسوع البشريّ، بعد ثلاثة أيّام على صلبه، من نطاق الموت إلى نطاق الحياة من جديد. فيقوم يسوع من الموت حاملاً في ذاته تفجّر طاقة الحياة التي ينقلها إلى المؤمنين به بعد قيامته بلا حساب.

إذاً، الألوهة والإنسانيّة في يسوع قائمتان معاً لا مثل ورقتين تضعهما الواحدة فوق الأخرى، بل على نحو متداخل. فالخواص الإنسانيّة تصبح خواص الإله الذي في يسوع. والخواص الإلهيّة تتسرّب إلى كيان يسوع البشريّ جاعلة منه كياناً إنسانياً فريداً ونموذجاً لكلّ من أراد اتّباعه والسير على خطاه. لكنّ حقيقة هذا التداخل أنه «بلا اختلاط أو تغيّر»، كما عبّر آباء المجمع الرابع. هذا مدلوله أنّ الإنسانيّة في يسوع، رغم اتحادها بالألوهة التي توهّلها مثلاً لصنع العجائب وإقامة الموتى، لا تكفّ عن كونها وجوداً إنسانياً حقيقياً، وأنّ الألوهة في يسوع، رغم تمثّلها صفات بشريّة بفعل اتّحادها بالعنصر الإنسانيّ، لا تتوقّف عن كونها ألوهة حقيقيّة مع كلّ ما يستتبعه ذلك من خواص. ولعلّ أبلغ تعبير أتى به التراث الآبائيّ عن كيان يسوع المزدوج هو القول إن يسوع مساوٍ لأمّه من حيث صفاته الإنسانيّة ومساوٍ لأبيه السماويّ من حيث صفاته الإلهيّة.

يشهد تعليم المجمع المسكوني الرابع المنعقد في خلقيدونية لحقيقة عزيزة على قلب كلّ مسيحيّ يؤمن بيسوع الناصريّ رباً ومخلّصاً، وهي أنّ الإنسان لم يعد متروكاً. فالله، عبر صيرورة ابنه وكلمته جسداً وحلوله بيننا، اقتحم دائرة الحياة الإنسانيّة ونصب له فيها خيمةً: «والكلمة صار جسداً وحلَّ فينا» (نصب خيمته بيننا) (يو١:١٤). الله وحده قادر على تخليص الإنسان من مأساويّة وجوده وضعف كيانه وتسلّط الموت على حياته. ولقد قرر الله، بعظيم رحمته، أن يداوي هذا الجرح الإنسانيّ الذي يعاني منه البشر جميعاً، سواء آمنوا أو ألحدوا، بلجوئه إلى علاج غريب، وهو أنّ يُتحد ذاته بالكائن البشريّ طمعاً في أن يلج إلى أعمق ما يختبره هذا الكائن من أزمات كيانيّة، بدءاً بالجوع والعطش والتعب والإرهاق، مروراً بالحزن والبكاء والخوف والقلق والإحساس بالوحدة وصولاً إلى الموت. هذا هو السرّ الكبير الذي تعلنه الكنيسة كلّ يوم في ليتورجيّتها وتعليمها وحياتها وشهادتها. فالمسيحيّة تقول بإله لم يرتضِ لذاته أن يقبع في عليائه بعيداً عن مشاكل البشر وهمومهم وأحزانهم، بل قام بمغامرة الحبّ التي ما بعدها مغامرة حين قرّر، في شخص يسوع المسيح، الكلمة المتجسّد، أن يأخذ على عاتقه مآسي البشر ومصائبهم حتى الموت، موت الصليب (فل ٢:٦–١١).

العلماء والأطباء عاجزون حتى اليوم عن سبر سرّ الموت. فالمعرفة البشريّة، رغم اتّساعها المطّرد، لا تزال غير قادرة على تزويدنا حتى بمعطيات بدائيّة عن حقيقة هذه الظاهرة التي لا بدّ لكلّ إنسان أن يختبرها في جلده. ولقد عبّر الكتاب المقدّس عن ظاهرة الموت مستخدماً صورة رمزيّة هي صورة الجحيم،

ونخضع لأوامرها العالية ونحافظ على ضبط العقائد الصحيحة والمذاهب الواضحة، ونضعها في خزائن العقل، ونحرسها بأعمال الفضيلة، ونهرب من الآفات المُفسدة لنفوسنا المُبعِدة عن خلاصنا كالهرب من الأفاعي ذوات السموم القاتلة، ونعتني دائماً بالطهارة الروحية والعمل بالوصايا الإلهية ولا نشتغل بغسل الظواهر الخارجية مثل أولئك الهالكين. فإن قلت وما هي هذه الآفات أجبتُك انها كثيرة.أولها الاهتمام بالأمور الدنيوية وثانيها محبَّة المجد الباطل لأنه يكون سارقاً لفضائلنا وناهباً لكنوزنا ومبدِّداً لغلاّت أرضنا ومفسِداً لثمرات أرواحنا. وإذا كنا نعمل الفضيلة ليراها البشر المائتون طلباً للمديح منهم فمديحنا مائتٌ مع المائتين وفاسدٌ مع الفاسدين. وإذا صار المادح تراباً ورماداً فما ظنُّك بالمديح الواصل إليك منهِ. ان هذا الخائب يكون كالذي يزرع والطيور تأكُل ويخزن واللصوص تنهب. وليس هذا وحدهُ هو الواصل إليهِ من المحزنات بل ان الذي يفعل الفضيلة أمامهُ لينال المديح منهُ هو بعينهِ الذي يذمُّهُ ذمًّا قبيحاً. ولو علمت ان

وهو في العرف اليهوديّ مكان تنتظر نفوس البشر فيه القيامة الأخيرة. نصوص الكنيسة رأت أنّ السيّد بعد موته تجلّى في الجحيم ونقل للراقدين بشرى الانتصار على الموت، حتّى أنّ أيقونة القيامة في التقليد البيزنطي تمثّل تصويرياً نزول السيّد إلى الجحيم بعد موته، وإنهاضه آدم وحواء. مهما تكن حقيقة ما يختبره الإنسان فعلياً في الموت وبعده، ما لا قدرة لنا على الإجابة عنه، فإن جوهر الإيمان المسيحيّ أنّ الله اخترق هذا الكهف المظلم الذي يُدعى الموت وأقام فيه ثلاثة أيام، وحطّمه بقيامته، مانحاً الحياة للبشر. هذا هو المعنى الأخير لإيمان مجمع خلقيدونية بيسوع المسيح إلهاً حقيقياً وإنساناً حقيقيّاً.

الرجاء

«فإنّي أحسِبُ آلامَ الزَّمانَ الحاضِرِ لا تُقاسُ بالمجدِ العتيدِ أن يُستَعلَنَ فينا. لأنّ انتظارَ الخليقةِ يتوقّعُ استِعلانَ أبناءِ اللهِ... لأنّنا بالرجاءِ خُلِّصْنا. ولكنَّ الرَّجاءَ المنظورَ ليسَ رجاءً. لأنّ ما ينظُرُهُ أحدٌ كيفَ يرجوهُ أيضاً؟ ولكن إن كنَّا نرجو ما لسنا ننظُرُهُ فإنّنا نتوقّعُهُ بالصَّبرِ» (رو ٨: ١٨–٢٥).

تقوم حياة الإنسان على الرجاء والأمل. فإن غاب الرجاء غاب كل شيء وأصبح الإنسان كالميت (جا ٩: ٤، أي ٦:٨–١٣). رجاء الإنسان المؤمن يبعده عن القلق ويعطيه الأمل، الأمل الواثق بغدٍ أفضل حاصل لا محالة بعون الله. الرجاء للمؤمن أعمق من الأمل وأبعد منه لأنه انتظار واثق بمحبة الله وافتقاده وملكوته.

ترد كلمة رجاء مئات المرات في الكتاب المقدس، ونرى ارتقاء في معناها. في العهد القديم الرجاء هو انتظار السعادة والخير. انتظار مليء بالثقة بتحقق عهد الله، مواعيده التي أعطاها لشعبه. لذا فإن الرجاء يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان ويتوازى معه (مز ٢٢:٧٨). حتى ان الإنسان يستطيع أن يدعو الله «رجاءَه» (ار ٧:١٧؛ مز ٤:٦١).

في البدء كان الرجاء بأن الله يخلّص الإنسان من الخطيئة وآثارها والعودة إلى الملكوت المفقود. تلهى الناس عنه وصاروا يرجون أرض الموعد (تك ١٥: ٧). بعد ذلك، وبقدر ما كانت الأخطار تهدد وجود الشعب في أرضه، صار الرجاء طلباً لحماية الرب وطلباً للسعادة والإزدهار. حاول الأنبياء تصحيح مفهوم الرجاء بالله لدى الشعب والإرتقاء به نحو مفهوم روحي أكثر، فصاروا يُنادون برجاء أن يقيم لهم الله مملكة ليست من هذا العالم حيث الله هو المَلِكُ والحاكم وهم شعبه: «ها أيَّامٌ تأتي يقولُ الرَّبُّ وأقطَعُ مع بيتِ إسرائيلَ ومعَ بيتِ يهوذا عهداً جديداً ليسَ كالعهدِ الذي قطَعتُهُ مع آبائهم يومَ أمسكتهم بيدهم لأُخرِجهم من أرضِ مِصرَ... أجعلُ شريعتي في داخِلِهم وأكتُبُها على قلوبهم وأكونُ لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً... لأنّي أصفَحُ عن إثمِهم ولا أذكُرُ خطيئتهم بعدُ» (ارميا ٣١:٣١–٣٤). هكذا فإن الرجاء صار ذا بُعد اسخاتولوجي، أخروي، يمتد إلى الملكوت حيث نهاية كل الأمور وتحقق مواعيد الله الخلاصية.

الرجاء في العهد الجديد يستند إلى الفداء الذي حققه الرب يسوع المسيح الذي فتح أبواب الفردوس من جديد وأقام مملكة الله الجديدة. كما أن تعليم الرب في الأناجيل مليء بالرجاء. الإنجيل هو الخبر الصالح من ناحية الخلاص الذي حمله يسوع وحققه. هو الكرازة بملكوت الله الذي افتتحه الرب بتجسده، وكماله يكون في اليوم الأخير. المساكين والفقراء والمتواضعون والمضايقون يضعون رجاءهم في الله وحده، ويسوع يعدهم بامتلاك خيرات الخلاص من ملكوت الله (متى ٥:٣–١٣).

الرسول بولس يصوّر في الرسالة

مديح البشر يضمحل كالدخان ويتلاشى كالظلّ ويتلاشى كالظلّ وينتثر كالهباء لما انفقتَ مالك سُدًى وأضَعت أتعابك باطلاً. وأما الذين يصنعون الفضائل لتراهم العين التي لا تنام فإنهم يأخذون إكليل الغلبة ويملكون سعادة الأبد ويتسلّمون الكنوز الثمينة والمكاييل الفائضة بحيث لا تصل إليهم اللصوص ولا تدهمهم السُرّاق. ويا للعجب من الذين يتسابقون على الخيل أمام المَلِك انهم يجهدون أنفسهم ويكدّون خيولهم لا لتراهم الألوف من الحاضرين بل ليراهم المَلِكُ وحدهُ لأنهم يعلمون ان منهُ وحدهُ تكون الكرامة والعطاءُ. ولو مدحهم الحاضرون كلهم دون المَلِكِ لا يستفيدون شيئاً.فإذا كان هؤلاء الذين يتسابقون ينظرون نظراً صادقاً ويميّزون تمييزاً صحيحاً ويلتمسون المديح من معادنه والجوائز من أربابها فكيف الذين وُلِدوا من الروح ثانياً واغتذوا بالأسرار الطاهرة وتهذبوا بالوصايا المسيحية ووُعِدوا بسعادة الملكوت. فسبيلنا أن نهرب من المجد الباطل بكل جهدنا ونحرص على كنوزنا من السارقين لنفوز بمُلْكِ ربنا الذي لهُ المجد إلى الأبد. آمين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إلى أهل رومية (٨:٢٤–٢٥) الرجاء كانتظار واثق وصابر لما لا يُرى، لأشياء غير منظورة، لأنها تنتمي إلى المستقبل، ولأنها تتعدى المحسوس (٢ كو ٤:١٨).

المسيحي الذي يحيا في الروح يمتلك منذ الآن خيرات الخلاص المرجوَّة: الفداء من الخطيئة، البنوَّة الإلهية والحق بالميراث، الروح الذي يعطي الحياة الأبدية ويكفل قيامة الجسد، عربون الميراث الإلهي في المجد الأبدي. يمتلكها بقدر ما يحيا في المسيح وبقدر ما يثق بمواعيد الرب يسوع. إذاً رجاء المسيحي هو في امتلاك الخيرات التي تخص ملكوت الله والتي هي حاضرة ومستقبلة. المسيحي مخلّص في الرجاء (رو ٨ : ٢٤)، ويترجى المشاركة في مجد المسيح وفي جميع الخيرات التي أعلنها الإنجيل والتي تُنتظر في السماء. المسيحي يؤمن بالله ويرجو به والله أمين لمواعيده (١كور ١:٩).

الرجاء في حياة المؤمن المسيحي أمر أساسي. جميعنا نحيا على رجاء القيامة والحياة الأبدية والخلاص. الرجاء هو ما يميّز المؤمن المسيحي عن غيره، حتى ان الرسول بولس حين كلّم المحزونين قال لهم: «لا أريدُ أن تجهلوا أيها الإخوةُ من جهةِ الرَّاقدينَ لكي لا تحزنوا كالباقينَ الذينَ لا رجاءَ لهم. لأنَّهُ إن كنَّا نؤمنُ أنَّ يسوعَ ماتَ وقامَ فكذلكَ الرَّاقدونَ بيسوعَ سيُحضرهم اللهُ أيضاً معه» (١تسا ٤:١٣–١٤). المسيحي يؤمن بأن يسوع سوف يمنحه خيرات الملكوت، وهذا هو رجاؤه الواثق طالما هو ملتصق بالله. هذا لا يعني ان المسيحي لن يشقى في حياته ولن يحاول الشرير أن يبعده عن رجاء خلاصه. لنتذكر القراءة الكتابية من سِفْر حزقيال النبي (إصحاح ٣٧) التي نقرؤها في جناز المسيح وفيها حديث عن العظام اليابسة لكل الراقدين. الجميع يقولون «يَبِست عظامُنا وهَلَكَ رجاؤنا. قد انقطعنا» (آية ١١). لكن الرب أدخل فيهم «الروح فحَيوا وقاموا على أقدامِهم جيشٌ عظيمٌ جداً جداً» (آية ١٠). وقال الرب للنبي أن يقول لكل يائس «هكذا قالَ السيِّدُ الرَّبُّ. هأنذا أفتحُ قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيلَ. فتعلمونَ أني أنا الرَّبُّ» (١٢–١٣).

عيد مار الياس

بمناسبة عيد النبي الياس التسبيتي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السابعة من مساء الثلاثاء ١٩ تموز في كنيسة دير مار الياس بطينا، وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأربعاء ٢٠ تموز في كنيسة النبي الياس في المصيطبة.

معرض

بمناسبة عيد شفيعها تُقيم رعية كنيسة النبي الياس المصيطبة معرضها الثاني للمونة والكتب الدينية والأيقونات والأشغال اليدوية، وذلك يوم الأربعاء ٢٠ تموز في باحة الكنيسة.

رحلة إلى روسيا

تُقيم رعية القديسة كاترينا في زهرة الإحسان رحلة إلى روسيا بين ١٧و٢٥ آب تشمل زيارة كنائس مدن موسكو وزاغورسك وسان بيترسبورغ إضافة إلى المتاحف والأماكن الأثرية. لمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال بقدس الإرشمندريت سيرافيم على أحد الرقمين ٠١/٣٢٧٣٤٥ أو ٠٤/٣٩٠٦١٩

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb